# المقدمة

الحوار بين الأمهات والبنات الراشدات قد يكون من أفضل الحوارات أو أسوئها على الإطلاق. مجرد تعليق أو ملاحظة من ابنتك أو أمك يكون وقعها أكثر تشجيعاً أو إيلاماً من أن تأتي من شخص آخر. العلاقة بين الأمهات والبنات بالمعنى الحرفي هي «أم كل العلاقات» هي من أقوى العواطف في حياة النساء، مصدر أعمق أنواع الحب و أعمق أنواع الغضب ـ حتى الكره ـ الذي تتعرض له معظم النساء. إنها تضعنا وجهاً لوجه مع الصورة المنعكسة لأنفسنا، وتجبرنا على مجابهة أسئلة جوهرية عمّن نحن بالضبط ومن نريد أن نكون، وما العلاقة التي تربطنا بالآخرين داخل عائلاتنا وخارجها.

إن علاقة الأم بابنتها تستمر في الاحتفاظ بقوة عظيمة خلال حياتنا ـ نحن البنات ـ حتى بعد بلوغنا و ما بعد ذهاب أمهاتنا، و ما بعد بلوغ البنات سن الرشد، وفي بعض الحالات «بلوغ الأمهات أنفسهن». إن الكلمات المتبادلة بين الأم وابنتها في اللحظة أو في الذاكرة من الممكن أن تحمل وزناً كبيراً. في كتابي «أنت لا تفهمني» بينت كيف من الممكن للمرأة والرجل أن ينتهوا من حوار ويفترقوا بأفكار مختلفة تماماً عما قد قيل وما عني به في الحقيقة. والشيء ذاته في الحوار بين الأمهات والبنات الراشدات، بالرغم من أن كليهما من النساء، وأنهما في جوانب كثيرة يتكلمن اللغة نفسها ـ اللغة التي يتم التفاوض بها باستمرار على الألفة والانغلاق والقوة والتفوق. إن تحسين وسائل التواصل والتفاهم بين الأم وابنتها تماماً كما

بين الرجل والمرأة يتطلب كل ما سبق. إن التفهم هو أن نرى المسألة من منظور الطرف الآخر. وفي هذا الكتاب أحاول أن أوفر التفهم والاقتراحات الواقعية لتحسين الحوار بين الأم وابنتها ومن ثَمَّ تحسين العلاقة.

إن التحدي في كل علاقة وفي كل حوار هو محاولة إيجاد طرق لتكون أقرب ما يكون من الطرف الآخر دون أن يصبح القرب تطفلياً أو مهدداً لحريتك وأحاسيسك أو تحكمك في حياتك. إن علاقة الأم بابنتها ككل العلاقات ـ ولكن أكبر ـ فهي تجمع من جانب أعمق الاتصالات وأكثر أنواع القرب والمودة راحة. وفي الجانب الآخر العلاقة الأكثر رعباً ونزاعاً على السيطرة. كل منهما يميل إلى المغالاة في قوة الطرف الآخر في الوقت الذي تستخف به بقوتها. وكل واحدة تتشوق إلى أن يراها الناس ويتقبلها كما هي عليه، بينما ترى أن على الطرف الآخر أن يكون كما تود هي، أو كطرف قصر في حق نفسه وكان من الممكن أن يكون أفضل.

إن النساء تسعد أو تتألم في سبيل الحوارات المرضية مع أمهاتهن أو بناتهن. في بعض الحالات من أجل البناء على علاقة ممتازة في الأصل، وفي بعضها الآخر لقطع دوامة سوء التفاهم التي بدورها تستطيع قلب كل الحوارات الودية إلى حوارات غاضبة في لمح البصر. كلاهما يود توسيع هبة الوئام والألفة وتقليص الإساءة المحتومة التي تأتي مع كل علاقة ودية والتي من الممكن أن تكون حادة خصوصاً في هذه العلاقة.

خرج هذا الكتاب «هل ستلبسين هذا؟» من كتابي الأخير «أنت لا تفهمني» الذي بدوره كان نتيجة الكتاب الذي سلفه وهو كتابي الأول «ليس هذا ما قصدت» وكان للجمهور العام. في هذا الكتاب قدمت مفهومي لأسلوب الحوار العام. ووضحت قوته في مختلف النواحي في حياتنا

اليومية. من بين فصـول الكتاب العشـرة فإن الفصل الوحيد الذي قد نال معظم الاهتمام و أكثر الإجابات حماسة هو الفصل المكرس للحوارات بين الرجل والمرأة. هذا قادني إلى أن أغير بحثي إلى موضـوع: «الاتصـال بين الذكر والأنثى» ولكتابة كتاب «أنت لا تفهمني»: الرجال والنساء في حوار.

مقارنة بهذا فإنه من بين الفصول التسعة لكتاب «أنا أقول هذا لأني أحبك» وهو كتاب عن علاقات الراشدين العائلية فإن الفصل الوحيد الذي حظي بالاهتمام كان بعنوان «إنني ما زلت أمك.» والأجزاء الوحيدة التي أسرت القراء هي تلك التي خصصت للعقد والمشكلات في العلاقة بين الأمهات وبناتهن الراشدات. هذا التجاوب ورغبتي في الوصول إلى قاع علاقتي المتطورة مع أمي، كلها شجعتني على تغيير بحثي إلى الحوار بين الأمهات وبناتهن حتى أنمو وأتعمق في هذه العلاقة الفريدة والقوية والتي تستمر في إثارة العواطف القوية لمدة طويلة حتى بعد انقطاعها، زاعمة بأنها محور حياتنا الشخصية.

معظـم مـا أقولـه عن الحـوارات بـين الأمهـات والبنـات ينطبق على الحـوارات بـين الأمهـات والأولاد، والآبـاء والبنـات، والآبـاء والبنـين. وبالتركيـز على الأمهـات والبنات فأنا لا أعني تجاهـل الأطراف الأخرى، لأني لم أقـم بدراسـة مقارنه في هذه النواحي. وكأسـتاذة جامعية في علم اللغات تخصـص علم اللغات الاجتماعي، فقد استخدمت طريقة ـ دراسة الحالة ـ في بحثـي، مظهرة جزء اللغات من علم اللغات الاجتماعي، حيث أسسـت كثيراً من نتائج أبحاثي على تحليل السجلات المدونة والتسجيلات الصـوتية للحوارات. وأظهرت الجـزء الاجتماعي منه في تحليل الحوارات

التي أحضرها أو التي أسمعها. إن المتخصصين في علم الاجتماع أو علم الإنسان ـ كما كتاب روايات الخيال ـ يصبحون أكثر ملاحظةً وأكثر تحليلاً للتفاعلات من حولهم. كثير من الأمثلة مبنية على تفاعلات كنت جزءًا منها، أو سمعتها أو قد ذكرت لي. أي إن الحوار يدور مع أشخاص أعرفهم أو لا أعرفهم، كبعض النساء اللاتي ما إنْ يسمعن عن اسم الكتاب حتى يتبرعن بخبراتهن. إن أساس بحثي هو تحليل قريب للسجلات والتسجيلات الصوتية. وفي هذا الكتاب فأنا أحلل كلمة كلمة لسجلات حوارات كانت قد سجلت بواسطة تلاميذي والتي كانت جزءًا من الفروض الدراسية والبحوث المفروضة عليهم في الفصل الدراسي، وعندي إِذْنٌ مسبق باستخدامها.

قد قمت بتنظيم حوارات أكثر تركيزاً ومقابلات مع نساء أعرفهن ونساء قريبات لتلاميذي حتى يتسنى لي أن أستمع بعمق إلى تجاربهن مع أمهاتهن وبناتهن. عندما أقوم بمقابلة الشخص بنفسي فأنا أقوم بتسجيل الحوار على شرائط وتدوين المقابلة أيضا. وعندما أتحدث مع شخص عبر الهاتف فأنا ألبس سماعات أذن وأقوم بطباعة الملاحظات أثناء الكلام. وعند استخدامي للبريد الإلكتروني كنت أطبعها إلى عدة نسخ. وفي عدة حالات تكلمت مع الأم ثم مع ابنتها كل على حدة أو بالعكس. في حالتين منفصلتين تقابلت مع مجموعة من النساء خلال مأدبة طعام، كنّ قد قمن بدعوة مجموعة من صديقاتهن اللاتي لا أعرفهن. كانت مقابلاتي (أو حواراتي في الحقيقة لأني لم أسأل أسئلة متسلسلةً ومضبوطةً مسبقاً) كانت قد تضمنت نساء من مختلف الأعمار والأجناس والأعراق. لم أتعمد

التعميم على أفراد من مجموعة معينة، فأنا لا أخصص جنساً معيناً للنساء اللاتي استخدمت تجاربهن في بحثي. بالرغم من أن كثيراً من أمثلتي قد أتت من نساء أمريكيات من أصل آسيوي أو إفريقي أو أوروبي.

لم أستخدم مثالاً دون الحصول على إذن مسبق من الشخص الذي كان مصدرًا للمثال، إذًا فالناس يستطيعون التحدث إلي بحرية، وببساطة فإنها مسألة أمانة (فاستخدام تلاميذي وأصدقائي وعائلتي كمصدر بيانات ومعلومات قد يعطي انطباعًا بأني صقر عنيف) أنا دائمًا أعلم الأشخاص كيف أنوي استخدام تجاربهم في الحياة حتى أتأكد من أنني قد أصبت في الاختيار وأنهم لا يمانعون في ذكر هوياتهم الكاملة أو أنهم يودون استخدام الاسم الأول فقط.

في تحاليلي للأمثلة المقدمة كان أساس عملي هو نفاذ البصيرة والمفهوم العام الذي قد تطور عبر ربع قرن من عملي في البحث الأكاديمي منذ أن حصلت على شهادة الدكتوراه في العلوم اللغوية من جامعة كاليفورنيا، باركلي.

كل المفاهيم والشرح لطرق البحث التي أقدمها هنا قد طورت بتفاصيل تقنية في الإعلام الأكاديمي. وهذه بعض المراجع على صفحة الويب الخاص بي:

www.deborahtannen.com

عندما سألت عن سبب قراري في الكتابة إلى عامة القراء بدلا من البقاء في المقالات الأكاديمية والكتب، أجبت بشكل طبيعي: «بأني أردت كتابة كتاب يسهل على أمي قراءته». وعندما أقول هذا فإن كلمة «أمي» هنا

تعني عامة القارئات اللاتي من المستحيل أن يفكرن بشراء كتاب مثقف. ولكن كلمة أمي تعني أيضاً أمي نفسها، الشخص الذي كان من أوائل جمهوري لكل إنجازاتي، والقاضي النهائي لكل أعمالي. موت أمي المفاجئ خلال كتابتي لهذا الكتاب جعل عملي صعباً، ولكن أيضاً جعلني أشعر بأن علي إنجازه بأسرع ما يمكن. أصبح الكتاب بمثابة طريقة لتكريم ذكراها بينما تدفعني لدراسة التأثير القوي الذي تركته علي والذي مازال مستمرًا مؤثرًا في كل جزء من حياتي. الاعتراف بهذه القوة يعزز من أهمية التفهم وتحسين الحوار بين الأمهات وبناتهن.

obeikan.com